

النمو المعرفي في مرحلة الطفولة المبكرة.

أ/ يخلف رفيقة.

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف-

ملخص:

يمثل والخبرات التي سينتمي قدراته، وتزيد من فاعليتها إلا أن قدرته على التعبير عما يفكر به وما يلاحظه النمو المعرفي عند الطفل أهم عنصر يجب أن يحيط به المعلم وإن المعرفة تزود الطفل بأنواع السلوك التي تساعد على التكيف مع الحياة الاجتماعية كلما تقدم في عمره الزمني، وإن ملاحظة قدراته والتعرف عليها من خلال ما يديه من سلوك وما يقوم به من تصرفات سيساعدنا على اتخاذ القرار المناسب للتعرف على نوع التجارب هي أفضل دليل على استعداداته للوصول به إلى اطلاع أوسع، ومعرفة أعم وأشمل.

الكلمات المفتاحية: النمو المعرفي، الطفولة المبكرة.

Le développement cognitif dans la petite enfance:

Résumé:

Représente le développement cognitif de l'enfant l'élément le plus important doit être entouré par un enseignant et que la connaissance de donner aux enfants les types de comportement qui les aident à s'adapter à la vie sociale comme fait dans les temps anciens, mais il a noté ses capacités et l'identification du comportement manifeste de ce qu'il fait les actions nous aideront à prendre d'identifier la décision appropriée sur le type d'expérience et l'expertise qui développera ses capacités, et d'accroître son efficacité, mais sa capacité à réfléchir à ce que l'étalonnage et les avis sont la meilleure preuve de préparatifs en vue de lui faire voir une connaissance plus large et plus large et plus complète.

Les mots d'ouverture : Le développement cognitif, La petite enfance

====

تمهيد:

تعتبر مرحلة السنوات الخمس الأولى من أهم المراحل في حياة الإنسان ولذلك بعد الاهتمام بالطفولة اهتماما بالحاضر والمستقبل معا، وتحتل مرحلة السنوات الخمس الأولى في حياة الطفل اهتمام معظم الدارسين والباحثين في مجال الطفولة، لأن خبرات سنوات العمر الأولى من الحياة لها أهمية كبرى في مستقبل نمو الطفل، " لأنها تعد تكملة لمرحلة الجنين وامتدادا لها ولذلك فهي مرحلة قبلية لما يتلوها من مراحل النمو أو بالأحرى هي أول المراحل وبدايتها، وبناء على ذلك تكون الأساس الذي تركز عليه حياة الفرد"⁽⁰¹⁾

إن التربية ما قبل المدرسة هي حديثة العهد نسبيا ويقصد بها على وجه التحديد التربية التي تسبق المدرسة، إلا أننا نستعملها في هذا الباب بمفهوم أوسع من مجرد تلقين المعارف، والعنصر التربوي يفرض على جميع المعنيين بالتعلم ما قبل المدرسة بعض المواقف التربوية، واختلاف المحتوى يعطي كل طور تربوي خصائصه المميزة إلا أنه يمكن أن نجعل هذا النوع من التربية لونا من التحصين للتعليم الأساسي، وعليه الاهتمام بالطفل خلال هذه الفترة من حياته يصبح ضروريا، وهذا يدعو إلى ضرورة إنشاء مؤسسات تهتم بالتربية ما قبل المدرسة يقوم هدفها الأول على تمهيل النمو العام لشخصية الطفل في شتى جوانبها والعناية برقيها.

وترى فوزية دياب أنه: " في المؤسسات التربوية للأطفال من سن الثانية إلى السادسة نلاحظ أوجه الشبه والاختلاف في خبرات الأطفال فبعض هذه المؤسسات تختلف في برامجها من حيث المنهاج والتوقيت وطريقة تنظيم حجرات النشاط التي يحدث بها التعليم"⁽⁰²⁾

كما تختلف هذه المؤسسات من حيث المضمون المعرفي للبرنامج المتبع لذلك فإن مختارات المضمون تتباين تباينا واسعا، فتتراوح بين مهارات الحياة اليومية وبين برامج منتسوري وبياجيه ومدارس منهج مناسب يحقق ما تستهدفه يتطلب لا مجرد توضيح لطريقة نمو وتعلم الأطفال، بل أيضا مراجعة لأراء في المعرفة وما يتوجب

على الأطفال معرفته، وتتباين النظريات فيما يختص بأنواع التعليم التي ستحقق اهتمام المنهج، ومرحلة ما قبل المدرسة هي في الأساس مرحلة الطفولة المبكرة من (3-6 سنوات)، من حيث المنظور النمائي وهي تستغرق (مرحلة الحدس) في نظرية بياجيه ومرحلة الإحساس بالمبادأة في مقابل الإحساس بالذنب في نظرية أريكسون.

وتكشف بعض النظريات والأبحاث الفسيولوجية وفي مقدمتها أعمال العالم الكندي (دونالدهب) 1949، أن الدماغ الإنساني في حالة ديناميكية نشطة ويميز نوعاً من التعلم المبكر في الطفولة يؤدي إلى تنشيط فعالية عمل الدماغ، وهو ما يسميه بالتعليم الأولي، تتشكل في سياقه أنماط للنشاط العصبي الكهربائي تؤثر في نشاط التعلم لدى الطفل وفي استجاباته لخبرات التعليم في المستقبل، لذا تعتبر سنوات ما قبل المدرسية مرحلة مثلى للتعليم ولتوسيع ما يعرف بـ (إمكانيات التعلم) learning potentials لدى الطفل ولتحقيق النمو بأقصى سعة لطاقت العقل⁽⁰³⁾، وفي معالجتنا في هذا البحث سنتطرق إلى نمط من الأنماط النمائية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة وهو النمو المعرفي، حيث مجرد وصول الطفل في هذه المرحلة تأخذ قدرته على استخدام الرموز والصور الذهنية في الازدياد بشكل واضح وبسرعة كبيرة فتزداد ثروته اللغوية زيادة هائلة، كذلك يصبح التقليد والمحاكاة هي الأسلوب السلوكي المميز لطفل هذه المرحلة بما يتضمنه ذلك من قدرة على التذكر الرمزي.

مفهوم الطفولة:

لغة: في اللغة هو المولود، يطلق على طفل على كل جزء من شيء أو معنى والطفولة هي مرحلة من الميلاد إلى البلوغ⁽⁰⁴⁾.

والطفولة وفقاً للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل: "هي كل إنسان للضبط والسيطرة والتوجيه التربوي للأطفال"⁽⁰⁵⁾.

يتبين مفهوم الطفولة *childhood* لتلك المرحلة المبكرة من حياة الإنسان والتي يكون فيها الإنسان في حالة اعتماد واضحة على المحيطين به سواء كانوا الآباء أو المدرسين... الخ. وترجع أهمية هذه المرحلة من حياة الطفل لكونه يكون فيها الفرق المستجيب لعملية التفاعل من حوله حيث يزود بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير وأساليب التقييم وأنماط السلوك التي تسود المجتمع وتحدد ثقافته، وعموماً فإن كل ما يتعرض له الطفل في مراحل عمره المبكرة تسهم في تشكيله وصياغة تفكيره وأنماط سلوكه.

وتعتبر دراسة الطفولة والاهتمام بها من أهم المعايير التي يقاس بها تقدم المجتمع وتطوره ولا شك أن الاهتمام بالأطفال من الطبيعة البشرية السليمة التي قد تختلف باختلاف المجتمعات في درجتها ومداتها تبعاً لاختلاف المسؤوليات والحضارية والثقافية بين هذه المجتمعات ولكنها عامة في أصل الوجود الناس عليها، وقد لا تختلف

الكائنات الحية عن الإنسان كثيراً في رعاية الأبناء والحفاظ عليها وبخاصة في القرارات المبكرة من الحياة⁽⁰⁶⁾.

العناية بالطفولة هي العناية بمستقبل الإنسانية وضمان الإنسان الغد، ويشير الريماوي إلى أن الطفولة مرحلة عمرية من دورة حياة الكائن الإنساني، حيث تمتد من الميلاد إلى بداية المراهقة، والطفل لغويًا: الصغير أو ، الرخص الناعم، ويستخدم اسماً مفرداً واسماً جمعاً، وفي كتابة الطفولة في *centuries of childhood* المنشور عام 1962، يشير فيليب أريس (Aries) إلى أن الطفولة مصطلح حديث نسبياً⁽⁰⁷⁾.

إن ثراء النظرية النفسية بما قدمه علم النفس أمثال: ستانلي هول و هافجهرست و إريكسون و كولبرج وعلماء مدرسة التحليل النفسي وعلماء الاجتماع المهتمين بالتغير الاجتماعي، وكذلك نتائج الدراسات الإكلينيكية والتجريبية أفنعتنا أن الطفولة مرحلة حياتية فريدة تتميز بأحداث هامة وفيها توضع أسس الشخصية

المستقبلية للفرد البالغ، ولها مطالبها والمهارات الخاصة التي ينبغي أن يكتسبها الطفل، إنها وقت خاص للنماء والتطور والتغير يحتاج فيها الطفل إلى الحماية والرعاية والتربية.

وعرف حامد زهران الطفولة على اعتبار أنها الفترة التي يقضيها الإنسان في النمو والترقي حتى يبلغ مبلغ الراشدين ويعتمد على نفسه وفي تدبير شؤونه وتأمين حاجاته الجسدية والنفسية، ويعتمد فيها الصغار على ذويهم في تأمين بقائهم وتغذيتهم وحماية هذا البقاء، فهي فترة قصور وضعف وتكوين وتكامل في آن واحد.

وتعرف الطفولة "هي مرحلة مبكرة من مراحل الإنسان تتميز بالنمو الجسدي السريع rapid physical growth والمحاولات الأولى للتعلم والأداء أدواء ومسؤوليات البالغين من خلال اللعب Play والتعليم الرسمي infancation، ويرى معظم الباحثين أن هذه المرحلة تبدأ بعد سن الرضاعة وتستمر حتى مرحلة البلوغ المبكر (أي من عمر 18-24 شهرا حتى 12-14 عاما تقريبا) (08)" وتنقسم مرحلة الطفولة إلى مرحلتين أساسيتين هما مرحلة الطفولة المبكرة early childhood التي تبدأ مع نهاية مرحلة الرضاعة وتستمر حتى عمر 06 سنوات وهي مرحلة وتطور سلوكه الاجتماعي، وعيه بفرديته.

ونستخلص مما سبق أن الطفولة هي مرحلة من المراحل التي يمر بها الفرد والتي ينمو ويتطور من خلالها في جميع مظاهر نموه المختلفة، كما تعمل جملة من الخبرات التي يتعرض لها الطفل على تشكيل سلوكياته وتثبيتها بالاعتماد على غيره في انتظار أن تظهر مهاراته الخاصة.

خصائص النمو المعرفي:

1- التمرکز حول الذات: Egocentrism

يتميز الطفل خلال هذه المرحلة بالتمركز حول الذات في التفكير، وهو مت يعني عدم قدرة الطفل على فهم الأشياء من أي وجهة نظر غير وجهة نظره،

ويكون الطفل مندهشا لأنه لا يستطيع أن يفهم كيف يفكر الآخريين بطريقة أخرى غير الطريقة التي يفكر بها هو، هذا التمرکز حول الذات يجعل الطفل يعتقد أن لدى الآخريين نفس الأفكار والمشاعر⁽⁹⁾.

ويعتقد طفل هذه المرحلة أن كل شيء في العالم يحدث بشكل منظم ووفق خطة محكمة وهو في وسط هذه العمليات بل هو المسبب لها، " ويقول أكيند Elkid أن طفل هذه المرحلة يواجه صعوبة في وضع نفسه مكان الآخريين، ليس فقط من الناحية العقلية بل من الناحية العاطفية أيضا"⁽¹⁰⁾، فاستمرار الطفل في مضايقة أمه رغم توسلاتها بأن يتركها وشأنها تعاني من صراع لا علاقة له بأخلاقياته وإنما يرجع ذلك إلى التمرکز حول ذاته بحيث لا يستطيع أن يرى وجهة نظر الآخريين أو أن يفهم مشاعرهم.

2- مفاهيم الاحتفاظ Conservation conception:

إن أهم إنجاز بالنسب للطفل من الناحية المعرفية في رأي بياجيه هو تكوين المفاهيم الثابتة مستقرة في مواجهة التغيير المستمر الذي يحدث في البيئة ولقد نجح الطفل في المرحلة السابقة في تكوين مفهوم مستقر ثابت بالنسبة لبقاء الأشياء حتى عند غيابها عن حواسه، ولكن ما أن يحل الطفل مشكلة بقاء الشيء (في نهاية المرحلة السابقة)، حتى يواجه مشكلة أخرى في هذه المرحلة وهي مشكلة بقاء "صفات" الأشياء مثل الكم والعدد والوزن والحجم والمقصود بذلك بالطبع "هو قدرة الطفل على الاحتفاظ بهذه الصفات الثابتة في ذهنه بالرغم من التغيير الظاهر لها"⁽¹¹⁾.

"وهذا ما لا يستطيعه طفل هذه المرحلة ويرجع ذلك إلى أن الطفل يعتمد على الرؤية المحسوسة والشخصية للأشياء"⁽¹²⁾.

3- التفكير الحدسي intuitive thinking:

الطفل في هذه المرحلة يعتمد في تفكيه بشكل أكبر على حواسه وتخيله أكثر من أي شيء آخر، وهذا النوع من التفكير هو ما يسميه بياجيه "بالتفكير

الحدسي" والتفكير الحدسي هو " ذلك الذي يخمن فيه الطفل الحل بناء على ما تظهره له حواسه، وليس قبل أن يصل الطفل إلى سن السادسة أو السابعة أن يصبح في إمكانه أن يكون أنساق (Systems) من العلاقات يقيم عليها تفكيره " (13)، إن تفكيره عندئذ يكون منطقيًا وليس حدسيًا، ذلك أن تكوين مثل هذه الأنساق من العلاقات هو عملية عقلية أو عملية معرفية لا قبل للطفل هذا بها، وإنما هي الخاصية المميزة لطفل المرحلة التالية.

العمليات المعرفية:

يتضمن النشاط المعرفي وجود عمليات معرفية إلى جانب الوحدات المعرفية ويمكن حصر تلك العمليات فيما يلي:

1. الإدراك: هي العملية التي تشير إلى استخلاص وتنظيم وتفسير البيانات التي تصلنا من كل من البيئة الخارجية والبيئة الداخلية عن طريق الحواس.
2. التذكر: هو العملية التي تشير إلى اختزال واستدعاء المعلومات التي تأتينا عن طريق الإدراك.
3. الاستدلال: هو العملية التي تشير إلى استخدام المعرفي في إجراء الاستنباط والوصول إلى النتائج.

مطالب مرحلة ما قبل المدرسية:

لاشك أن لكل مرحلة من مراحل النمو خصائصها ومطالبها التي تقتضيها العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية والشخصية، ومن الضروري للفرد أن يشبع حاجاته وفقا لمطالب المرحلة التي يمر بها حتى يستطيع التكيف لها وما بعدها من مراحل، وتنحصر مطالب مرحلة ما قبل المدرسية فيما يلي:

- 1) تنمية الإحساس بالثقة في النفس وفي الغير: " وهذا الإحساس ينمو نتيجة لخبرات الطفل الأولى مع أمه وفيما بعد ينمو نتيجة لخبراته مع الناس، فسرعة الاستجابة للطفل وحاجاته والخاصة بالرعاية والحنان ينمي لديه الثقة بالنفس ويساعده ذلك على مواجهة المواقف الصعبة في المستقبل" (14).

2) تنمية الإحساس بالاستقلال الذاتي: يبدأ الاهتمام بهذا المطلب في العامين الثاني والثالث من حياة الطفل، ولا بد من احترام رغبة الطفل في الاستقلال بفعل بعض الأشياء التي لا تشكل خطورة عليه، وذلك يساعده على نمو استقلال الذات عند الطفل وتوفير فرص الاختيار أمام الطفل، وتقديم أدوات اللعب المتنوعة مع عدم تدخل الكبير في عمله.

3) تنمية المبادرة: وهذا المطلب أساسي في سن الثالثة والرابعة والخامسة ومع أن المبادرة تبدأ قبل هذا السن إلا أن الطفل في هذه السنوات أكثر نشاطاً ورغبة كالأستكشاف والبحث وأكثر تساؤلاً وميلاً إلى خوض التجربة بنفسه في أشياء كثيرة.

4) تنمية الابتكار: فمرحلة الطفولة المبكرة تتميز بالرغبة القوية في العمل والنشاط واللعب والخيال، وعن طريق الرغبة في العمل والخيال يمكن تنمية الاستعداد الابتكاري لدى الأطفال.

5) تحمل المسؤولية: يبدأ في هذه المرحلة تكوين الضمير والشعور بالمسؤولية ونمو الضمير في هذه المرحلة مهم وضروري⁽¹⁵⁾.

وتؤدي رياض الأطفال دوراً مهماً ومكملاً لعملية التنشئة الاجتماعية في الإتيان مطالب مرحلة الطفولة وحاجات الأطفال النمائية، وتمثل المعرفة والبحث والاستطلاع أنواعاً من الحاجات النمائية الأصلية عند الأطفال، فالطفل يكتسب معلوماته وتنمو معارفه عن طريق خبراته التي يمارسها بنفسه باستخدام عضلاته وحواسه المختلفة وعن طريق الأسئلة التي يسألها، إضافة إلى ميله لصنع الأشياء وفكها وتركيبها كما يحتاج الطفل إلى اللغة فالنمو اللغوي في مرحلة الطفولة له قيمته الكبيرة في التعبير على النفس والتوافق النفسي والاجتماعي والنمو العقلي.

الدراسات التي اهتمت بالنمو المعرفي في مرحلة الطفولة المبكرة:

ومن الدراسات التي تناولت النمو المعرفي في مرحلة ما قبل المدرسة دراسة كامبي وديفريز (kammi .D evries) عن مدى فاعلية برنامج تدريجي لتنشيط قدرات الأطفال العقلية المعرفية، وهدفت الدراسة إلى تدريب أطفال ما قبل المدرسة على المهارات المعرفية في الجوانب التالية: النمو المعرفي المتكامل، الاستقلالية والاعتماد على النفس، حب الاستطلاع والمبادأة، حل المشكلات، التفاعل والتواصل مع الأقران، وتكونت عينة الدراسة من 18 طفلاً من 4 إلى 6 سنوات ذكور وإناث قسمت إلى مجموعتين متساويتين إحداهما تجريبية و الأخرى ضابطة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- فاعلية البرنامج المستخدم في تنمية شعور الأطفال في المجموعة التجريبية بالاستقلال الذاتي و الاعتماد على النفس، وتشجيع الأطفال على التفاعل اللفظي والاجتماعي، والمبادأة في جعل المشكلات البسيطة التي يواجه بها في حياتهم اليومية (16)

وهناك دراسة أخرى هي دراسة فرنكل وموي (Frankel et Moye) عن مدى فاعلية برنامج للتدريب على مهارات النشاط المعرفي لدى الأطفال مرحلة ما قبل المدرسة، وهدفت الدراسة غلى تدريب أطفال ما قبل المدرسة على بعض المهارات المتعلقة بالنشاط المعرفي خاصة التذكر والانتباه، وتكونت عينة الدراسة من 51 طفل ذكور وإناث (5 - 6 سنوات) قسمت إلى مجموعتين إداهما تجريبية وأخرى ضابطة روعي فيها التجانس في الذكاء والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، واستخدمت الدراسة مقياس لتقييم قدرة الطفل على التذكر والانتباه، استثماراً للمستوى الاجتماعي الاقتصادي بالإضافة إلى البرنامج المقترح، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها فاعلية البرنامج المستخدم في إكساب الأطفال المجموعة التجريبية الذكور و الإناث المهارات الخاصة بالإدراك المعرفي والقدرة على الفهم والتذكر والحفظ وحل المشكلات والتفكير والانتباه (17).

ومن خلال عرض الدراساتين السابقتين نجد أن منهج النشاط المتبع في تعليم ما قبل المدرسة و الروضة خصوصا يعتمد على مبدأ النشاط الذاتي ضمن مواقف تعليمية منظمة وأنشطة وألعاب هادفة في إطار الوحدة المعرفية التي تتسم بالشمول والمرونة والترابط والتكامل على شكل وحدات تعليمية مشوقة تتضمن الأنشطة والفعاليات المختلفة التي تنمي المهارات، وبالتالي تهدف رياض الأطفال إلى تنمية المهارات المعرفية والعقلية اللغوية لدى الطفل وإذا ركزنا على أهدافها الجزئية تساهم هذه المؤسسة في تنمية قدرة الطفل على التركيز والانتباه واستخدام الكلمات والجمل والتراكيب اللغوية الصحيحة والتمكن من التواصل الاجتماعي واللفظي، وتنمية الاتجاهات الموجبة نحو العمل المدرسي وتنمية الدافع للإنجاز والنمو المتكامل للطفل .

وهناك دراسة مايرلندا تحت عنوان تطوير الاحتياجات المعرفية في رياض الأطفال في ولاية illinoie هدفت هذه الدراسة إلى اقتراح المنهج لإعداد معلمات الحضانة بالكليات ورأت الباحثة إهمال الجانب العملي في برامج إعداد دراسات في دور الحضانة له تأثير سلبي عند إعدادهن أكدت الدراسة ضرورة الربط بين الجانبين العلمي عند التخطيط والنظري(الأكاديمي)، وقد حددت الباحثة بعض الأسس التي اعتمدها بناء على النتائج التي برزت في الدراسة وهي :

- الربط بين الأهداف التربوية العامة والحاجة لدور الحضانة .
- ربط الجانب العلمي بالجانب النظري أثناء مراحل الدراسية للمعلمات .
- الاهتمام بالمنهج التربوي الهادف والذي تضمن علم النفس وعلم الصحة النفسية وفلسفة التربية ودراسات اجتماعية محلية من واقع مجتمعات الدراسة⁽¹⁸⁾.

النمو المعرفي في مرحلة الطفولة المبكرة:

يولد الطفل ولديه قدرة مهمة على التعلم والشيء الطبيعي والمفيد في هذه القدرة إنما تبحث عن استئارة البيئة من أجل نموها، وفي حال افتقرت البيئة إلى المثيرات الحسية فإن القدرة على التعلم تفقد الفرصة الزمنية المتاحة لها خلال

السنوات الأولى، الأمر الذي ينعكس سلبا ويؤدي إلى فقد معرفي لا يمكن تعويضه في مراحل العمر اللاحقة وبالخصوص ما يتصل بالمهارات العقلية العليا من تحليل وتركيب واستنتاج... إلخ، وقد بين سيكولاند وليس أن أطفالا في عمر يومين إدارة رؤوسهم كاستجابة لمثير سمعي لتزويدهم بمادة سكر العنب، والعلاقة بين النمو المعرفي والبيئة خلال 24 شهرا الأولى من عمر الطفل علاقة بنائية وتكوينية، ويعتقد بياجيه أن النمو المعرفي خلال أول سنتين من عمر الطفل ناتج بالدرجة الأولى عن التفاعل الحاصل ما بين الإدراك الحسي والنشاط الحركي للطفل، كما قام بياجيه 06 أطوار تصف التقدم في النمو المعرفي خلال المرحلة الحسية الحركية (0-2) سنة والجدول التالي يبين هذه الأطوار⁽¹⁹⁾:

الفوج	الفترة العمرية	مظاهر النمو
الأول	الشهر الأول	- استجابات انعكاسية لميزات البيئة
الثاني	الشهر الأول - الرابع	- دخول الاستجابة الانعكاسية إلى استجابة قصدية. - يبقى اهتمام الرضيع بأعضاء جسمه أكثر من مكونات البيئة المحيطة.
الثالث	الشهر الرابع - الثامن	- تطور اهتمام الطفل بمكونات البيئة أكثر من اهتمامه بجسده - تطور الطفل لمفهوم ثبات الأشياء - تطور حسن التوقع عند الطفل
الرابع	الشهر الثامن - الثاني عشر	- تحسن القدرة على الفهم والتوقع - زيادة الطبيعية الهادفة للسلوك. - يفتقر سلوك الطفل إلى المرونة
الخامس	الشهر الثاني عشر -	- تفكير يتجه نحو المرونة - تحسن وضع الطفل لتبات الأشياء

(الأشخاص وأشياء كل منهما له وجود مستقل)	الثامن عشر	
- يستخدم الطفل التفكير الرمزي (تجريب الحلول للمشكلات عقليا بدلا من تجريبها ظاهريا) - ظهور قدرة الطفل على المحاكاة المؤجلة (محاكاة سلوكيات سابقة كانوا قد شاهدوها).	الشهر الثامن عشر - 24 شهر	السادس

في الفترة العمرية (2-6) سنوات تزيد مقدرة الطفل على التفكير الرمزي والمنطقي وهذه المرحلة تشمل مرحلة ما قبل العمليات Proportional في نظرية بياجيه. تعد نظرية بياجيه إحدى النظريات المعرفية النمائية لأنها تعني بالكيفية التي تنمو من خلالها المعرف لدى الفرد عبر مراحل نموه المتعددة فهي تفترض إن إدراك الفرد لهذا العالم وأساليب تفكيره تتغير من مرحلة عمرية إلى أخرى إذ تسود في كل مرحلة أساليب واستراتيجيات خاصة تحكم إدراكات الفرد وتؤثر في أنماطه السلوكية، وقد أظهر بياجيه اهتماما واسعا بما يعرف بنظرية المعرفة التي تعني بالدرجة الأولى في تفسير الكيفية التي يتم من خلالها اكتساب المعرفة، وتعتمد نظريته على محورين أساسيين هما:

أ) تشكل المعرفة في حد ذاتها أداة تمثل ينتج عنها تطوير بني معرفية.
ب) تؤدي المعرفة وظيفة التحكم الذاتي في أساليب التفكير لدى الفرد وفق لعملية التوازن العقلي.

إن النمو المعرفي لدى للطفل هو نتيجة لأربعة عوامل رئيسية:

1. النضج البيولوجي

2. التوازن

3. الخبرات الاجتماعية بالناس

4. الخبرات الطبيعية بالأشياء

ولدراسة النمو المعرفي لدى أطفال هذه المرحلة يجب دراسة تطور التفكير عند الأطفال خلال المرحلة العمرية (2-7) سنوات، وقد قسم بياجيه مراحل النمو المعرفي إلى المراحل التالية (20):

- مرحلة تفكير الحس الحركي
- مرحلة تفكير ما قبل العمليات الذهنية (2-7) سنوات وتشمل على مرحلتين هما:

أ- مرحلة ما قبل المفاهيم

ب- مرحلة التفكير الحدسي

- مرحلة العمليات المادية الحسية
- مرحلة العمليات المجردة

وسوف نتناول مرحلة ما قبل العمليات لأنها المرحلة المقابلة لمرحلة رياض الأطفال وبها يمكن إلقاء الضوء على خصائص التفكير طفل ما قبل المدرسة.

يصف بياجيه طور النمو من سنتين حتى سبع سنوات بأنه طور ما قبل

العمليات Pre-Operational والذي ينقسم إلى فترتين رئيسيتين هما:

1) فترة ما قبل المفاهيم: تمتد من سنتين إلى أربع سنوات، ويعود الطفل في بداية هذه المرحلة استخدام المفاهيم الخاصة، كمفهوم الفئة ومفهوم علاقة الانتماء إلى فئة معينة، ولذلك يتميز التفكير في هذه المرحلة بأنه في منزلة متوسطة بين مفهوم الشيء ومفهوم الفئة.

2) فترة التفكير الحدسي: وهي من سن 4 إلى 7 سنوات وفيها يتحرر الطفل من نقائص المرحلة السابقة والتفكير الحدسي هي إعطاء تغيرات أو تأكيد نتيجة معينة دون إعطاء تغيرات أو مبررات منطقية لذلك، فالطفل في هذه المرحلة يفتقر

إلى إعطاء المنطق السليم في تفسير الظواهر، وتفكير الطفل في هذه المرحلة محدود في عنصرين هما: الانتباه، الإدراك التذكري⁽²¹⁾.

وعلى ذلك فإن من الضروري أن تتوفر في هذه المرحلة العمرية حاجات النمو العقلي، وتتمثل في تهيئة الفرص والخبرات اللازمة لإشباع ميل الطفل وحبه للاستطلاع عن طريق الأنشطة المختلفة والرحلات الخارجية، كما يجب أن تكون فترة النشاط غير طويلة، والسماح للطفل بالانتقال من نشاط إلى آخر دون أن يجبر على الاستمرار في نشاط، والعمل على تشويق الطفل بما يقوم به من أنشط والعمل على زيادة فترة انتباهه من خلال الأنشطة، كما يجب تهيئة الفرص للإجابة على أسئلة الطفل واستفساراته وتفسير الظواهر التي يراها عن طريق إجابات تناسب إدراكه.

ولقد أثبتت الدراسات أن الفترة ما قبل السن الدراسي وحتى السنة السادسة من العمر يتميز فيها الطفل بالإدراك الحسي الحركي، بينما نجد أبحاث (هيدر F.k.heider) تبين مدى قدرة الطفل على تركيب الجمل، بحيث تختلف هذه الأخيرة باختلاف وظيفتها ويرى د. ربيع محمد "أن الطفل في هذه المرحلة يتصف بالخصوبة المفرطة في الخيال والقدرة على الربط بين الأسباب ونتائجها بالإضافة إلى أن النمو العقلي في هذه المرحلة يكون في منتهى السرعة حيث أكد العالم النفسي (بلوم) أن 50 % من النمو العقلي للطفل يتم فيها بين الميلاد والعام الرابع من عمره 39 % منه يتم فيها بين العام الرابع والثامن من حياة الطفل، وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل الكثير من المعلومات، وتتكون لديه المفاهيم المعرفية المختلفة التي تساعده على اللحاق بهذا الركب الهائل من المعلومات وخصوصاً إننا نعيش في عصر الانفجار المعرفي"⁽²²⁾.

ويستمر النمو العقلي للطفل في هذه المرحلة بمعدلات سريعة ففي هذه المرحلة ينمو لدى الأطفال نماذج من المهارات التي تسمى بالذكاء العام، وذلك إضافة إلى استقرار وثبات مهارات أخرى مثل الإدراك والذاكرة والتعلم وحل

المشكلات، وفي هذه المرحلة يتلقى الطفل للمرة الأولى معلومات عن كل ما يحيط به كما انه يبدأ في تكوين المفاهيم المعرفية المختلفة ما يوضح ضرورة تعريض الطفل في هذه المرحلة لأكبر قدر ممكن من المعلومات والمفاهيم المعرفية المختلفة بطريقة مبسطة وصحيحة لتسهيل عليه عملية اكتسابها، ولتضمن له نموا معرفيا سليما حيث إن تلقي الطفل في هذه المرحلة لأي معلومة خاطئة يصعب تغييرها لاحقا ما يؤثر على ثقافة الطفل، كما أن حرمانه من التعرض لهذه المعلومات والمفاهيم في هذه المرحلة يؤثر سلبا على نموه المعرفي.

كما يلعب رياض الأطفال دورا كبيرا في نمو الطفل العقلي وقد قام " قيرتون في مجموعة بيئات مختلفة بدراسة أكدت أن ذهاب الطفل إلى الحضانه في هذه المرحلة أفضل من بقاءه في المنزل حيث تتاح له فرص متعددة للنمو العقلي" (23) .
والطفل مرحلة ما قبل المدرسة يحتاج إلى النشاط الذي يقابل حاجتهم للنمو الجسمي باستخدام العضلات الكبيرة في اللعب، أو في النمو الذهني عن طريق تنمية الذاكرة وزيادة الحصيلة اللغوية والمساعدة على التعبير الشفهي لفهم معاني الكلمات (24) .

ويرى فهم مصطفى " أن الطفل في سنواته الأولى يستطيع أن يدرك معاني الأشياء التي يتعامل معها بحواسه، فالطفل يتميز بالرغبة وحب الاستطلاع للأشياء التي يلاحظها، حيث يرغب دائما في معرفة كل شيء عن الظواهر التي يلاحظها ولا يقنع بالردود الغامضة على أسئلته، فهو يبدي رغبة مستمرة في التساؤل والاستفسار لمعرفة خصائص الأشياء" (25) . كما يرى فهم مصطفى أن المهارات المعرفية تتمثل في التذكر والفهم والاستيعاب والملاحظة والاستنتاج.
ويقدم معتوق المثاني بالاعتماد على خصائص النمو المعرفي الكثير من النصائح يمكن تقديم البعض منها:

- الابتعاد عن تعليم الأطفال مفاهيم يحفظونها دون أن يدركوا معانيها لأنها لا تتناسب مع نموهم المعرفي، كما أن في تعجيل الطفل المفاهيم المجردة التي ليس لها خبرات دالة ومباشرة، من المحتمل أن يقود إلى تعلم الطفل رموزا خالية من المعاني.
- توفير الخبرات المباشرة وغير المباشرة مما يتيح للطفل فرصة البحث والاستكشاف والممارسة الفعلية للأشياء وذلك في حدود قدرته على تشجيعه باستمرار وتوجيهه في كل نشاط والإجابة عن أسئلته بطريقة تناسب مستوى نموه، ومن ثم يستطيع الطفل أن يصوغ أسئلة منطقية وأن يتنبأ بنتائج سلوكياته وملاحظة آثارها .
- وتؤكد الاتجاهات المعاصرة في تربية الأطفال ما قبل المدرسة على أهمية تعريض الطفل للمثيرات الحسية المختلفة وإكسابه المفاهيم المناسبة لما يساعده على اللحاق بهذا الركب الهائل من التطور التكنولوجي و العلمي المعاصر حتى لا نضيع عليه الوقت، وحتى لا نهدر الكثير من طاقاته وقدراته .

هوامش:

- ¹ - جميلة جحيش، التعليم في مرحلة ما قبل التمدرس، المركز الوطني للوثائق التربوية، العدد 39، الجزائر. 2005، ص1
- ² - فوزية دياب، تصميم البرامج التربوي للطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، دار الفكر الجامعي، بدون سنة، ص143.
- ³ - د. ربيع محمد، د. طارق عبد الرؤوف، عامر، المسؤولية الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، دار البازودي العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان، الأردن، 2008 ص18.
- ⁴ - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط3، القاهرة، مصر، 1993، ص50
- ⁵ - جمال مختار حمزة، عمالة الأطفال، مجلة علم النفس، العدد 14، 40، مصر، 1997، ص152
- ⁶ - إعداد لجنة متخصصة لرعاية طفل ما قبل المدرسة في المجتمع، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص11.
- ⁷ - د. تناء يوسف العاضي، تربية الطفل، نظريات وأراء دار المعرفة الجامعية، ط1، 1994، الإسكندرية، مصر، ص11.
- ⁸ - محمد عبد الله العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة نظرياته وتطبيقاته، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2003، ص32.

- ⁹ - هبه محمد عبد الحميد، معجم مصطلحات التربية وعلم النفس، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، عمان- الأردن، 2008، ص.123
- 10- محمد عبد الله العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سابق ذكره، ص.226
- 11- شارف محمد، التعليم التحضيري في المدارس الابتدائية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2003، ص.16.
- 12- محمد عبد الله العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سابق ذكره، ص.227
- 13- شارف محمد، التعليم التحضيري في المدارس الابتدائية، مرجع سابق ذكره، ص.16
- 14- محمد عبد الله العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة، مرجع سابق ذكره، ص.228
- 15- د. شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل ما قبل المدرسة، دار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، مصر، 2000، ص.258.
- 16- نفس المرجع، ص.259.
- 17- د أمل محمد حسونة، المهارات الاجتماعية لطفل الروضة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 108- 109
- 18- نفس المرجع، ص 110- 111
- 19- د. نور بطاينة، مشكلات رياض الأطفال، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2006، ص 59 - 60
- 20- إبراهيم عبد الكريم الحسين، إعداد الطفل للتفوق، دار الرضا للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 2002، ص.90
- 21- د. محمد فرحان القضاة، د. محمد عوض الترتوري، تنمية مهارات اللغة والاستعداد القرائي عند طفل الروضة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ص 47-48.
- 22- نفس المرجع، ص.49.
- 23- د. ربيع محمد، د. طارق عبد الرؤوف عامر، المسؤولية الاجتماعية في الطفولة المبكرة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان الأردن، 2008، ص 30 - 31
- 24- د. محمد سلامة، محمد غياري، لخدمة الاجتماعية في المؤسسات التعليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006، ص 83 - 84
- 25- نفس المرجع، ص.85.

قائمة المراجع

1. جميلة جحيش، التعليم في مرحلة ما قبل التمدرس، المركز الوطني للوثائق التربوية، العدد 39، الجزائر. 2005.
2. فوزية دياب، تصميم البرامج التربوي للطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، دار الفكر الجامعي، بدون سنة.
3. د. ربيع محمد، د. طارق عبد الرؤوف، عامر، المسؤولية الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة، دار البازودي العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان، الأردن.
4. معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط3، القاهرة، مصر، 1993.
5. جمال مختار حمزة، عمالة الأطفال، مجلة علم النفس، العدد 14، 40، مصر، 1997.
6. إعداد لجنة متخصصة لرعاية طفل ما قبل المدرسة في المجتمع، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.
7. د. تناء يوسف العاضي، تربية الطفل، نظريات وأراء دار المعرفة الجامعية، ط1، 1994، الإسكندرية، مصر.
8. محمد عبد الله العارضة، النمو المعرفي لطفل ما قبل المدرسة نظرياته وتطبيقاته، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2003.
9. هبه محمد عبد الحميد، معجم مصطلحات التربية وعلم النفس، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، عمان- الأردن، 2008.
10. شارف محمد، التعليم التحضيري في المدارس الابتدائية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2003.
11. د. شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية الطفل ما قبل المدرسة، دار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، مصر، 2000.
12. د أمل محمد حسونة، المهارات الاجتماعية لطفل الروضة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
13. د. نور بطاينة، مشكلات رياض الأطفال، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2006.
14. إبراهيم عبد الكريم الحسين، إعداد الطفل للتفوق، دار الرضا للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 2002.
15. د. محمد فرحان القضاة، د. محمد عوض الترتوري، تنمية مهارات اللغة والاستعداد القرائي عند طفل الروضة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006.

16. د.ربيع محمد، د.طارق عبد الرؤوف عامر، المسؤولية الاجتماعية في الطفولة المبكرة، دار
اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية، عمان الأردن، 2008.
17. د.محمد سلامة ، محمد غياري، لخدمة الاجتماعية في المؤسسات التعليمية، المكتب الجامعي
الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006.
18. فهيم مصطفى، الطفل وأساسيات التفكير العلمي، دار الفكر العربي، ط 1، القاهرة،
مصر، 2005.